

جنبلاط... الكلام في الممنوع

نقولا ناصيف (جريدة النهار ٤/١١/٢٠٠٠)

كان الرئيس بشارة الخوري، في كل مرة يزعم الذهاب الى المقر الصيفي لرئاسة الجمهورية في قصر بيت الدين، يتوجس من الإقامة القصيرة في هذا المكان، فيقول ان على كتفيه حمّالين: كرسي مطرانية المواردنة وكرسي المختارة (مع الست نظيرة ثم ابنها كمال جنبلاط). إذ ظل البيت الجنبلاطي الثابتة الوحيدة في العهود الرئاسية المتعاقبة إما مواليا لها او معارضا، الا انه كان باستمرار الشريك في الحكم الذي يتعذر تجاهله او إقصاؤه. ولم تكن هذه حال الرئيس كميل شمعون ولا العميد ريمون اده ولا الشيخ بيار الجميل، ولا الرؤساء صبري حمادة وصائب سلام ورشيد كرامي ولا سواهم: فإما هم في السلطة وإما خارجها. بل كان يحلو لكامل جنبلاط بسبب ذلك القول انه يسقط الرؤساء ويصنع آخرين ويخلع الحكومات وأحيانا يفرض - هو الدرزي - رؤساءها. أما ما لم يكن يقوله، فهو انه الثابتة الدائمة، من حولها يتغير الجميع ويتقلبون وينقلبون.

مصدر ثابتة الرجل هو ثابتة هذا البيت السياسي القديم: فاما هو صانع الاحداث او صانع الظروف المفضية اليها. قيل مساء امس لرئيس الحزب التقدمي الاشتراكي النائب وليد جنبلاط وهو يغادر البرلمان: "الله يحميك". فأجاب: "ممن؟". وسئل لماذا لم يثر موضوع وجود الجيش السوري في لبنان قبل الآن؟ فأجاب: "كانت هناك اسرائيل تحتل الجنوب". قيل له انه لم يتكلم في هذا الموضوع عام ١٩٩٢ فعقب: "انا لا أطالب بانسحاب سوري، بل باعادة تمركز الجيش السوري". ولفت مجددا الى ان البيان الوزاري لم يتطرق الى اتفاق الطائف "الذي ينص على قواعد تمركز محددة للجيش السوري". ثم قال له صحافيون تجمعوا حوله: الله يحميك وخرج.

إذا ثمة من يخاف الآن على جنبلاط لانه تكلم على هذا النحو في مجلس النواب، او تكلم في كلام ممنوع. لكن - كقول الزعيم الدرزي - ممن؟ المطلعون على موقف جنبلاط عن كثب يوردون الحقائق الآتية الماثلة امامه: ١

١- ما أدلى به في موضوع وجود الجيش السوري في لبنان يندرج في اطار خطاب سياسي غير مرحلي. بل هو خطاب نهائي قرر ان لا عودة عما بلغه فيه. وهو الخطاب نفسه الذي خاض جنبلاط على أساسه انتخابات ٢٠٠٠ في جبل لبنان الجنوبي وحقق نجاحا كبيرا، وهو الخطاب الذي قاله أكثر من مرة في سوريا، سواء مع مسؤولين سوريين في لقاءات خاصة او في القرداحة في أربعين غياب الرئيس الراحل حافظ الاسد، وهو الخطاب نفسه الذي قاله تكرارا في لبنان. ولم يصدقه اللبنانيون. لكن البارحة فاجأهم به

لانه أطلقه في مجلس النواب برسم التاريخ وبرسم سوريا وبرسم موقعه السياسي ومستقبل زعامته، لا برسم النواب الذين اصغوا اليه. فصدّقوه الى حد الخوف عليه.

٢- يعتقد جنبلاط ان الواقع السياسي الراهن في البلاد سيقودها الى المجهول في ظل الضغوط التي تمارس على قرارها المستقل وعلى قراره هو المستقل. وهو ما لمح اليه سابقاً برفضه استئذان احد عندما يقرر اتخاذ موقف او مبادرة او قرار ما. وتاليا فان المجتمعين السياسي والمدني في خطر من جراء ذلك ما لم يستدرك هذا الواقع ويصار الى تصويبه.

-لا تتسابق مباشرة بين كلام جنبلاط وما يقوله البطريرك الماروني مار نصرالله بطرس صفير، الا ان ثمة اتصالات بين الرجلين اللذين يجمعهما موقف مشترك من وجود الجيش السوري في لبنان وتدخل العسكر في السياسة وضرورة تنفيذ الطائف نصاً وروحاً.

٣- ليس في كلام جنبلاط اي مضمون انقلابي على علاقته بدمشق مع معرفته بأنه لا يرضيها. فما بينه وبين القيادة السورية هو في صلب ما أضحى عليه لبنان الآن: السوريون مدينون للزعيم الدرزي بحفظ دورهم السياسي والعسكري في لبنان بعد الاجتياح الاسرائيلي عام ١٩٨٢ مدينون له اولا بمقاومة اتفاق ١٧ ايار ١٩٨٣ بدءاً من "حرب الجبل"، ومدينون له باعادة جيشهم الى بيروت عام ١٩٨٦، ومدينون له (مع حلفائه الآخرين) بتفكيك عهد الرئيس أمين الجميل وبمواجهة حكومة العماد ميشال عون. وهو مدين لهم بتحوله رقماً صعباً في المعادلة اللبنانية الهشة المنبثقة من اتفاق الطائف.

وبفضل السوريين فان جنبلاط في عهد الرئيس الياس الهراوي كان الرئيس الرابع بعد الرؤساء الثلاثة في كل ما كان يعنيه في مواقع السلطة والادارة. وكما والده الراحل عندما يناوئ عهداً ورئيساً لا يقيم على هامشهما: اختلف مع الرئيس اميل لحود وصالحه وتعاون معه بتحفظ، وخاض انتخابات نيابية مكنته من السيطرة على دائرتي الشوف وبعيدا - عاليه، ثم انتهى الى اعتراف الحكم بتمثيله الحصري للدروز في حكومة الـ ٢٤ فالتسبب من ثم بتوسيع حكومة الرئيس رفيق الحريري الى ٣٠ وزيراً نتيجة تشبته بمقعد ماروني من حلفائه الانتخابيين. بعد بطريرك الموارنة والزعيم الدرزي فالنائب البر مخيبر فجنبلاط مجدداً، وبدءاً من مجلس النواب الذي بات عليه من الآن رعاية حوار وطني في هذا الموضوع بالذات، سقط التحريم القائل بأن ثمة ما هو ممنوع الكلام فيه وثمة تخوين في حال الكلام فيه.

بل الأهم هو سقوط كل ذرائع المطبّلين لهذا الموضوع، ليبقى الحوار المجدي بعد ذلك حول المعادلة التي قال بها رئيس الجمهورية عن وجود الجيش السوري في لبنان ومناقشتها وطنياً: لماذا هو ضروري؟ والى متى هو موقت؟ وكيف يصير شرعياً؟